

(١)

دروس من الإسراء والمعراج

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فكلما أهلّ علينا شهر رجب جال بخاطرنا ذكرى الإسراء والمعراج ، تلكم المعجزة الإلهية التي أكرم الله (عز وجل) بها نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، فطوى له الزمان والمكان ليسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ويعرج به إلى السماوات العلى ، ثم إلى سدرة المنتهى .

ولأهمية هذه المعجزة فقد خلد الله (عز وجل) ذكرها في موضعين من كتابه الكريم ، الأول : في سورة (الإسراء) وسميت بهذا الاسم تخليدا لهذه المعجزة على مرّ العصور والدهور ، يقول الحق سبحانه: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ، والثاني : في سورة (النجم) ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} .

وإذا كانت وقائع هذه الأحداث العظيمة في تاريخ الأمة لا تخفى على أحد ، فإننا

لغي حاجة ماسة للوقوف على بعض ما فيها من دروس وعبر تنير لنا الطريق ، ومن هذه الدروس التي ينبغي أن نقف معها :

* **أن مقام العبودية أشرف المقامات ، وأرفع الدرجات ،** به شرف من شرف ، وارتفع عند الله من ارتفع ، وذلك أن المتدبر في القرآن الكريم يلحظ علو قدر النبي (صلى الله عليه وسلم) عند ربه في أن الله (عز وجل) لم يخاطبه باسمه مجرداً وإنما خاطبه بوصف النبوة والرسالة فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} ، وقال {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} ، أما عند الحديث عن هذه المعجزة فقد وصفه بمقام العبودية الذي هو أشرف المقامات وأعلاها ، قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا} ، وقال تعالى: {فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَا أَوْحَىٰ} ، فلو كان هناك وصف أشرف من هذا الوصف لوصف الله (عز وجل) به نبيه (صلى الله عليه وسلم) في هذا المقام ، مقام التكريم والإجلال .

إن مقام العبودية هو المقام الذي ارتضاه النبي (صلى الله عليه وسلم) لنفسه تواضعاً مع ربه (جل وعلا) ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : (جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَتَنَظَّرَ إِلَى السَّمَاءِ ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ قَالَ : أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ؟ أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ : تَوَاضَعُ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ: بَلْ عَبْدًا رَسُولًا .

ومن دروس الإسراء والمعراج : **أن الله (عز وجل) لا ينسى أوليائه ، ولا يضيع أحبائهم ،** فلقد جاءت معجزة الإسراء والمعراج تصديقاً للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، وتثبيتاً لقلبه ، وتسرية عن نفسه ، بما أطلعه الله (عز وجل) على حقائق غيبه ، وأسرار كونه ، تنبئ عن قدرته سبحانه وتعالى ، وتؤكد على معيته (عز وجل) وعنايته بنبيه (صلى الله عليه وسلم) .

(٣)

لقد حدثت معجزة الإسراء والمعراج في وقت فَقَدَ فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اليد التي كانت تحنو عليه ، والناصر المعين من البشر في عام واحد سُمي بعام الحزن ، حيث فَقَدَ أمَّ المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) التي تحملت معه مشاق الدعوة والرسالة ، وواسته بمالها ونفسها عندما قام المشركون بتكذيبه وإيذائه (صلى الله عليه وسلم) ، فكانت تخفف عنه (صلى الله عليه وسلم) حزنه وألمه ، كما فَقَدَ (صلى الله عليه وسلم) عمَّه أبا طالب الذي كانت العرب تهابه وتجله لمكانته ورفعة شأنه بين القبائل ، وكأن الله (عز وجل) يقول للنبي (صلى الله عليه وسلم) : يا محمد إن فقدت مؤانسة الزوج فأنت مؤانس بالمال الأعلى ، وإن فقدت حماية العم فأنت محاط بحماية الرب ، وإن جفاك أهل الأرض فإن أهل السماء يرحبون بك .

ومنها : **أن الأخذ بالأسباب أمر ضروري لاستقامة الحياة واستقرارها ، ولا يتعارض ذلك مع مفهوم التوكل على الله (عز وجل) ، فقد سخر الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) البراق ليكون وسيلة انتقاله في رحلته مع أن الله (عز وجل) قادر أن يسري بنبيه دون وسيلة ، فهو سبحانه القائل : {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** .

وعندما وصل النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى بيت المقدس ربط البراق التي سخره الله تعالى له ، تعليماً للأمة بضرورة الأخذ بالأسباب ، فقال : (..فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرِبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ) ، يقول الإمام النووي : " وفي ربط البراق الأخذ بالاحتياط في الأمور ، وتعاطي الأسباب ، وأن ذلك لا يقدر في التوكل " .

ومنها : **أخوة جميع الأنبياء والمرسلين ، فالأنبياء والمرسلون جميعاً أصحاب رسالة واحدة في الأصول والعقائد ، وإن اختلفت شرائعهم ، قال تعالى مخاطباً نبيه (صلى الله عليه وسلم) : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**

(٤)

فَاعْبُدُونِ}، وقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (الأنبياءُ إخوةٌ لعلاتٍ ، أمهاتهم شتى ودينتهم واحدٌ) ، وقد كان جميع الأنبياء والمرسلين في شرف استقبال النبي (صلى الله عليه وسلم) ببيت المقدس ، وصلى بهم إماماً ، وفي السموات العلا كانوا يستقبلون النبي (صلى الله عليه وسلم) ويرحبون به قائلين: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، ويدعون له بالخير ، وقد كان ذلك إيذاناً بانتقال الإمامة في الأرض إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وفي نفس الوقت تطبيقاً عملياً للعهد والميثاق الذي أخذه الله (سبحانه وتعالى) عليهم من لدن آدم (عليه السلام) إلى عيسى بن مريم (عليه السلام) أن يؤمنوا بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وينصروه إذا أدركوا زمنه ، حيث قال سبحانه : {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

ومن أعظم دروس الإسراء والمعراج : بيان منزلة الصلاة وأهميتها ، ففي هذه الليلة المباركة فرض الله تعالى الصلاة على أمة النبي (صلى الله عليه وسلم) بدون واسطة ، إيذاناً بأن تكون الصلاة معراج المؤمنين إلى رب العالمين ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً ، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّىٰ مَرَرْتُ عَلَىٰ مُوسَى ، فَقَالَ : مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَارْجَعْتُ ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَى ، قُلْتُ : وَضَعَ شَطْرَهَا ، فَقَالَ : رَاجِعْ رَبِّكَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ، فَارْجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَارْجَعْتُهُ ، فَقَالَ : هِيَ خَمْسٌ ، وَهِيَ خَمْسُونَ ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَى ، فَقَالَ : رَاجِعْ رَبِّكَ ، فَقُلْتُ : اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي) .

لذا وجب علينا أن نعرف لهذه الشعيرة قدرها ، وأن نحافظ عليها فلا نفرط فيها ، ولا نتكاسل أو نشغل عنها ، يقول الحق سبحانه: {قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}.

ومنها : **أن الصداقة الحقيقية هي التي تتجلى ثمارها في أوقات الشدائد والأزمات** ، فعندما عاد النبي (صلى الله عليه وسلم) من رحلته ، أخبر أهل مكة أنه ذهب إلى بيت المقدس ثم عاد في ليلته ، وأخذ يحدث قريشاً بما شاهد ، فذهبوا للصديق (رضي الله عنه) وقالوا : (هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس ، فقال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم) ، وهنا تتجلى الصداقة الحقيقية في أسمى معانيها - عند أبي بكر (رضي الله عنه) لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : (لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : أو تُصدِّقُه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصبح؟ قال: نعم، إني لأُصدِّقُه فيما هو أبعد من ذلك ، أُصدِّقُه يخبر السماء في غدوةٍ أو روحةٍ) ، ومن هنا لقب بالصدِّيق ، فالصداقة في الإسلام معدن نفيس تصنع الرجال ، وتظهر الإنسان على حقيقته ، وفي ذلك يقول القائل :

جزى الله الشدائد كل خير * * * عرفت بها عدوي من صديقي

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إخوة الإسلام:

إن من أعظم دروس الإسراء والمعراج : أن يدرك المسلمون جميعاً ما لمصر من فضل ومكانة عند رب العالمين ، فحينما صعد النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى سدرة

المنتهى رأى أربعة أنهار ، يخرج من أصلها نهران ظاهران ، ونهران باطنان، فقال: (يا جبريلُ، ما هذه الأَنْهَارُ؟). قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: فَالْبَيْلُ وَالْفُرَاتُ .

كما أنه (صلى الله عليه وسلم) مرّ ليلة الإسراء والمعراج بامرأة مصرية مؤمنة شجاعة في الجنة ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِرَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيْلُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ مَا شِطَّةُ بِنْتِ فِرْعَوْنَ ، كَانَتْ تَمْشُطُهَا فَوَقَعَ الْمَشْطُ مِنْ يَدِهَا فَقَالَتْ: بِسْمِ اللّٰهِ ، فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ: أَيُّ؟ قَالَتْ: رَبِّي وَرَبُّكَ وَرَبُّ أَبِيكَ ، قَالَتْ: أَقُولُ لَهُ؟ قَالَتْ: قُولِي، فَقَالَتْ ، فَقَالَ لَهَا : أَلَيْكَ مِنْ رَبِّ غَيْرِي؟ قَالَتْ: رَبِّي وَرَبُّكَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، قَالَ: فَاحْمِي لَهَا نُقْرَةً مِنْ نُحَاسٍ ، وَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: حَاجَتِي أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ عِظَامِي وَبَيْنَ عِظَامِ وَلَدِي ، قَالَ: ذَلِكَ لَكَ لَمَّا لَكَ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ، فَالْقَى وَلَدَهَا فِي النَّقْرَةِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا، وَكَانَ آخِرَهُمْ صَبِيٌّ فَقَالَ: يَا أُمَّتَاهُ فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ)، فمصر كانت وما زالت وستظل بإذن الله بلد الإيمان والتوحيد .

ومنها: **أن يعرف كل مسلم مكانة المسجد الأقصى**، فقد انتهى إليه إسراء رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومنه بدأ معراجه إلى السموات العلى، ثم إلى سدرة المنتهى، كما أنه أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، وأحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال من أجل الصلاة وثوابها ، كما أنه ثاني مسجد بني على الأرض ، فعن أَبِي ذَرٍّ (رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ)، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللّٰهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ قَالَ: (الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ) قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: (الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى) قُلْتُ كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَالَ: (أَرْبَعُونَ سَنَةً)، ثُمَّ أَيُّنَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلَّهُ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ) ، وصلاة فيه خير من خمسمائة صلاة فيما سواه عدا المسجدين المسجد الحرام والمسجد النبوي ،

(٧)

حيث يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (فَضْلُ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى غَيْرِهِ مِائَةٌ أَلْفِ صَلَاةٍ ، وَفِي مَسْجِدِي أَلْفُ صَلَاةٍ ، وَفِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَمْسُمِائَةِ صَلَاةٍ) ، فالمسجد الأقصى جزء لا يتجزأ من المقدسات الإسلامية، فهو ذو مكانة في قلوب أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وهو أمانة في أعناق المسلمين جميعاً، فلا ينبغي أن نفرط فيها ، أو نتهاون في الحفاظ عليها ، كما يجب علينا أن نغرس في أبنائنا هذا المعنى ، حتى لا تنسى الأجيال القادمة مكانة و قدسية المسجد الأقصى لدى جميع المسلمين .

**اللهم إنا نسألك ثباتاً في القول والعمل ،
وفي الدنيا والآخرة .**